

المرجع اليعقوبي يطرح الركائز الأساسية للنظرية التي تفسر أسباب انهيار الحضارات والأمم والدول



المرجع اليعقوبي يطرح الركائز الأساسية للنظرية التي تفسر أسباب انهيار الحضارات والأمم والدول

ألقى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) درس التفسير الأسبوعي في جمع من طلبة الحوزة العلمية بمكتبه في النجف الأشرف في ضوء الآية الكريمة الثانية من سورة الحشر المباركة {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر:2]، وهي تحكي تفاصيل غزوة بني النضير وهم إحدى قبائل اليهود الثلاث الذين سكنوا حول المدينة وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عقد معاهدة سلام وحسن الجوار فنقضوا

العهد في تأمرهم على قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحالف وفد منهم برئاسة زعيمهم كعب بن الأشرف مع قريش لمناصرتهم عند هجومهم على المدينة.

وطرح سماحته (دام ظلّه) الركائز الأساسية لما أسماه بالنظرية الاجتماعية والسياسية، التي تساعد في فهم سرّ إنهيار الحضارات والدول، وتفكك المجتمعات، استناداً على إمكانية توسعة المفاهيم والمضامين القرآنية والمصاديق التي تنطبق عليها.

وأشار سماحته (دام ظلّه) الى ان عنوان {بُيُوتَهُمْ} الذي ورد في الآية الكريمة يمكن ان يقصد به الجامع المعنوي والاعتباري الذي يأوي اليه الافراد ويستمدون منه هويتهم، كالدولة والأمة والحضارة، وحينئذ يكون معنى تخريبهم لبيتهم هو عدم المحافظة على أوضاعهم الاقتصادية وعدم استقرار أمنهم ونفوذهم الاجتماعي، وذلك بنقضهم العهود وعدم التزامهم بالمواثيق.

وأوضح سماحته (دام ظلّه) العاملين الأساسيين اللذين يمكن الرجوع اليهما لمعرفة أسباب انهيار الحضارات في النظرية المشار إليها، وهما:

1-خارجي: وهم الأعداء المتربصون الذين ينتظرون الفرصة المؤاتية للانقضاض عليهم واحكام السيطرة عليهم.

2-داخلي: لفقدانهم الروح المعنوية وتعويلهم على القوى المادية من سلاح ومال وكثرة عددية وهي وحدها لا تصنع النصر. وهذا العامل الداخلي هو الأقوى في التأثير، وقد لا يحتاج العدو الخارجي الى أكثر من احداث هذه الهزيمة الداخلية. وهذا ما حصل لبني النضير فقد هُزِموا من داخلهم من دون قتال وسلّموا أراضيهم واموالهم وممتلكاتهم مقابل النجاة بأنفسهم وهي نتيجة طبيعية لمن لا يمتلك مبادئ سامية يقاتل من أجلها.

وفي ذات السياق بيّن سماحته (دام ظلّه) ان هذه النظرية يمكن الاستفادة منها في مفهوم صراع الحضارات - الذي طُرِحَ في منتصف تسعينات القرن الماضي- ومن تطبيقاتها (النظرية) التاريخية القديمة هو هزيمة المسلمين في الاندلس بعد أن حكموها أكثر من ثمانمئة عام، ولم تقدر الأمم الأوروبية على هزيمتهم، لكن ملوكهم لمّا انهمكوا في ملذاتهم ولهوهم وشهواتهم، وغفلوا عن أمور الشعب والدولة، وأصبحت امورها تدار من قبل الجوّاري - وبعضهن من الجاسوسات الاوربيات - وانشغل الأمراء بصراعاتهم الداخلية التي مزقتهم الى دويلات وامارات، واستعان بعضهم بالممالك الاوربية على

إخوانهم المسلمين، ويفقدانهم لكل القيم المعنوية ومقومات الصمود، تمكنت جيوش الأعداء من هزيمتهم، فاستسلموا وسلّموا البلاد لهم، ولحقهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة بتضييعهم هذا الجزء المهم من بلاد المسلمين.

ومن التطبيقات المعاصرة لهذه النظرية، هو انهيار الاتحاد السوفييتي الذي كان يمتلك قدرات هائلة، مكنته من الوقوف مقابل حلف شمال الأطلسي، طيلة عقود الحرب الباردة، لكن عوامل الضعف نخرت كيانه من الداخل، فانهار من دون قتال وانحلّ الاتحاد عام 1991 وتشطى الى دول عديدة تشهد بعضها صراعات فيما بينها.

وفي نهاية درسه التفسيري أكد سماحة المرجع (دام طله) على ان الحضارة الغربية سائرة اليوم بهذا الاتجاه (الخراب والانهيار) خصوصاً بعد اتخاذ عدد من حكوماتهم قراراً بإباحة زواج المثليين وتغيير الجنس، وهو عامل تخريب للأسرة التي هي مقوم اساسي للأمم، كما أن التخلّي عن المبادئ الإنسانية السامية، والتجرد من المعنويات، ومن الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر، والخواء الفكري والأيدولوجي الذي يعيشونه وإشاعة ثقافة اللهو والعبث واللهث وراء الشهوات، وهوس التفاهات، يجعلهم مجتمعات كسولة مخدّرة غير منتجة، لذا تجدهم يستعينون بالمهاجرين من البلاد الأخرى لتسيير حياتهم، وهذه كلها أمور تنسف أساس الحضارة ومقومات الأمم، فعلياً أن نستيقظ ونحدّر من تسرّب هذه العناصر المدمّرة الى مجتمعاتنا الإسلامية، بل علينا أن ننقل إلى تلك الأمم ما عندنا لننقذهم مما هم فيه من الضياع.



